

نهييڊ :

أخى المسلم ، أختى المسلمة :

كما هو معلوم لنا نحن المؤمنين بصفة خاصة : أن الله تبارك وتعالى قد شاءت إرادته ، واقتضت حكمته أن يرسل رسله المبشرين والمنذرين إلى بنى البشر من أول أبينا وسيدنا آدم إلى خاتمهم محمد عليهم الصلاة والسلام - لكى يؤدوا وظيفة هامة لصالح البشر أجمعين . حتى يكونوا بسبب هذا من عباد الله الحقيقيين إلى يوم الدين .

وقد قرأت ، حول هذا المعنى كلاماً هاماً للإمام الشيخ محمد عبده ، فى رسالة (التوحيد) ، قال فيها تحت عنوان :

وظيفة الرسل عليهم السلام

عن الرسل ، أنهم من الأمم بمنزلة العقول من الأشخاص ، وأن بعثهم حاجة من حاجات العقول البشرية قضت رحمة المبدع الحكيم بسدادها ، ونعمة من نعم واهب الوجود ميز بها الإنسان عن بقية الكائنات من جنسه ، ولكنها حاجة روحية ، وكل ما

لَا مَسَّ الْحَسِّ مِنْهَا فَالْقَصْدُ فِيهِ إِلَى الرُّوحِ وَتَطْهِيرُهَا مِنْ دَنَسِ الْأَهْوَاءِ
الضَّالَّةِ أَوْ تَقْوِيمِ مَلَكَاتِهَا أَوْ إِيدَاعِهَا مَا فِيهِ سَعَادَتُهَا فِي الْحَيَاتَيْنِ .

وَأَمَّا تَفْصِيلُ طَرِيقِ الْمَعِيشَةِ وَالْحَذَقِ فِي وَجْهِ الْكَسْبِ ، وَتَطَاوُلِ
شَهَوَاتِ الْعَقْلِ إِلَى إِدْرَاكِ مَا أَعْدَ لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ مِنْ أَسْرَارِ الْعِلْمِ -
فَذَلِكَ مِمَّا لَا دَخَلَ لِلرَّسَالَاتِ فِيهِ إِلَّا مِنْ وَجْهِ الْعِظَةِ الْعَامَةِ وَالْإِرْشَادِ
إِلَى الْإِعْتِدَالِ فِيهِ ، وَتَقْرِيرِ أَنَّ شَرْطَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَلَّا يَحْدُثَ رِيَاءٌ فِي
الْإِعْتِقَادِ بِأَنَّ لِلْكَوْنِ إِلَهًا وَاحِدًا قَادِرًا عَالِمًا حَكِيمًا مُتَصِفًا بِمَا
أَوْجَبَ الدَّلِيلُ أَنَّ يَتَصِفُ بِهِ ، وَبِاسْتِوَاءِ نِسْبَةِ الْكَائِنَاتِ إِلَيْهِ فِي أَنَّهَا
مَخْلُوقَةٌ لَهُ وَصَنَعَ قُدْرَتَهُ ، وَإِنَّمَا تَفَاوُتُهَا فِيمَا اخْتَصَّ بِهِ بَعْضُهَا مِنْ
الْكَمَالِ ، وَشَرْطُهُ أَلَّا يَنَالَ شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ السَّابِقَةِ أَحَدًا مِنْ
النَّاسِ بَشَرٌ فِي نَفْسِهِ أَوْ عَرْضِهِ أَوْ مَالِهِ بِغَيْرِ مَا يَقْتَضِيهِ نِظَامُ عَامَةِ الْأَمَةِ
عَلَى مَا حَدَّدَ فِي شَرِيعَتِهَا .

يُرْشِدُونَ الْعَقْلَ إِلَى اللَّهِ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُعْرِفَ مِنْ صِفَاتِهِ ،
وَيُبَيِّنُونَ الْحَدَّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ فِي طَلَبِ ذَلِكَ الْعِرْفَانِ عَلَى
وَجْهِ لَا يَشُقُّ عَلَيْهِ الْإِطْمِئْنَانُ إِلَيْهِ ، وَلَا يَرْفَعُ ثِقَتَهُ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ
الْقُوَّةِ ، يَجْمَعُونَ كَلِمَةَ الْخَلْقِ عَلَى إِلَهٍ وَاحِدٍ لَا فِرْقَةَ مَعَهُ ، وَيَخْلُونَ

السبيل بينهم وحده ، وينهضون نفوسهم إلى التعلق به فى جميع الأعمال والمعاملات ، ويذكرونهم بعظمته بفرض ضروب من العبادات فيما اختلف من الأوقات ، تذكرة لمن ينسى ، وتزكية مستمرة لمن يخشى ، تقوى ما ضعف منهم ، وتزيد المستيقن يقيناً .
يُبينون للناس ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم ، وتنازعت مصالحتهم ولذاتهم ، فيفصلون فى تلك المخاصمات بأمر الله الصادع ، ويؤيدون بما يبلغون عنه ما تقوم به المصالح العامة ، ولا تفوت به المنافع الخاصة .

يعودون بالناس إلى الألفة ، ويكشفون لهم سر المحبة ، ويلفتونهم إلى أن فيها انتظام شمل الجماعة ، ويفرضون عليهم مجاهدة أنفسهم ليستوطنوها قلوبهم ، ويشعروها أفئدتهم ، يعلمونهم لذلك أن يرعى كل حق الآخر وإن كان لا يغفل حقه ، وألاً يتجاوز فى الطلب حده ، وأن يعين قلوبهم ضعيفهم ، ويمد غنيهم فقيرهم ، ويهدى راشدهم ضالهم ، ويعلم عالمهم جاهلهم يضعون لهم بأمر الله حدوداً عامة يسهل عليهم أن يردوا إليها أعمالهم كاحترام الدماء البشرية إلا بحق مع بيان الحق الذى تهدر

له ، وحظر تناول شيء مما كسبه الغير إلا بحق مع بيان الحق الذى يُبيح تناوله ، واحترام الأعراض ، مع بيان ما يباح وما يحرم من الأبخاع ، ويشرعون لهم مع ذلك أن يقوموا أنفسهم بالملكات الفاضلة ، كالصدق ، والأمانة ، والوفاء بالعقود ، والمحافظة على العهود ^(١) ، والرحمة بالضعفاء ، والإقدام على نصيحة الأقوياء ، والاعتراف لكل بحقه دون استثناء ^(٢) .

يحملونهم على تحويل أهوائهم عن اللذائذ الفانية ، إلى طلب الرغائب السامية ، آخذين فى ذلك كله بطرف من الترغيب والترهيب والإنذار والتبشير ، حسبما أمرهم الله جل شأنه .

يفصلون فى جميع ذلك للناس ما يؤهلهم لرضا الله عنهم ، وما يعرضهم لسخطه عليهم ، ثم يحيطون ببيانهم بنبأ الدار الآخرة وما أعد الله فيها من الثواب وحسن العقبي لمن وقف عند حدوده ، وأخذ بأوامره وتجنب الوقوع فى محظوراته .

يعلمونهم من أنباء الغيب ما أذن الله لعباده فى العلم به ^(٣) مما

(١) ومنها المعاهدات مع الأجانب .

(٢) أى لا فرق فيه بين مسلم وكافر وقوى وضعيف وقريب وبعيد .

(٣) كالملائكة .. والجن وأحوال الآخرة .

لو صعب على العقل اكتناؤه ، لم يشق عليه الاعتراف بوجوده .
 بهذا تطمئن النفوس ، وتثلج الصدور ويعتصم المرزوء بالصبر ،
 انتظاراً لحزبل الأجر ، أو إرضاء لمن بيده الأمر ، وبهذا ينحل أعظم
 مشكل فى الاجتماع الإنسانى لايزال العقلاء يجهدون أنفسهم فى
 حله إلى اليوم ^(١) الخ .

فتلك هى وظيفة الرسل .. التى لا بد أن نكون على علم بها ..
 والتى من أهمها ، بل أهمها أن الله تعالى قد بعثهم جميعاً من
 أجل هدف واحد ، هو دعوة العباد إلى أفراد الله تعالى بالعبادة ، لا
 إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه ، إذ هم مُقَرَّون بذلك ، وقد قال الله
 تبارك وتعالى مشيراً إلى هذا : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا
 أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ ^(٢) .

كما قال الله تعالى مشيراً إلى إقرارهم بوجود الله واعتراضهم
 على عبادة الله وحده : ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ﴾ ^(٣) ، أى

(١) يعنى مشكل العمال وما نشأ عنه من المذاهب الفوضوية بأنواعها ، وأوربا كلها فى
 حيرة من تلافى هذا الأمر .. ويسهل تلافيه بالدين الإسلامى الذى فرض الزكاة وأمر
 بالصدقة وهدى الأنفس إلى الرضا بما قسم لها ؛ طلباً لسعادة الآخرة مع بذل الجهد فى
 السعى .

(٢) النحل : من الآية : ٣٦ .

(٣) الأعراف : من الآية : ٧٠ .

لنفرد بالعبادة ، ونخصه بها من دون آلهتنا ؟ ..

فأرسل الله الرسل تأمر بترك عبادة كل ما سواه — سبحانه —
وتبين أن هذا الاعتقاد الذى يعتقدونه فى الأنداد باطل ، وأن
التقرب إليهم باطل ، وأن ذلك لا يكون إلا لله وحده .. وهذا
توحيد العبادة ، وقد كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ، وهو أن الله هو
الخالق وحده والرازق وحده .

ومن هذا نعرف أن التوحيد الذى دعتهم إليه الرسل من أولهم
— وهو سيدنا نوح عليه السلام ^(١) — إلى آخرهم — وهو محمد ﷺ
— هو توحيد العبادة ؛ ولهذا تقول لهم الرسل : ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا
اللَّهَ ﴾ ^(٢) ، ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ^(٣) .

وقد كان المشركون ، منهم : من يعبد الملائكة ويناديهم عند
الشدائد ، ومنهم : من يعبد أحجاراً — وهى الأصنام التى كانت
تعبد من دون الله وحده — ويهتف بها عند الشدائد ، فبعث الله
محمدًا ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، بأن يفردوه بالعبادة ،

(١) ليس أول الرسل نوحاً ، بل آدم عليه السلام ، وإنما نوح أولهم بعد الطوفان ..

(٢) هود : من الآية : ٢٦ .

(٣) الأعراف : من الآية : ٥٩ .

كما أفردوه بالربوبية ، أى بربوبية السماوات والأرض ، وأن يفردوه بمعنى ومؤدى كلمة : (لا إله إلا الله) معتقدين لمعناها ، عاملين بمقتضاها ، وألا يدعوا مع الله أحداً .

.. هذا ، وإذا كنا قد وقفنا على هذا التمهيد الذى أردت به أن نعرف (وظيفة الرسل) حتى نعرف من خلال هذا العرض السريع - مدى ما تحملوه من مسئوليات حتى بلغوا رسالات الله تعالى بكل صدق ، وصبر ، وإخلاص :

.. فإنى أحب أن أذكر بعد ذلك ، بأنه يجب على كل مؤمن أن يعتقد أن الله تعالى قد أرسل لعباده أنبياء ورسلاً مبشرين ومنذرين لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ، الذى يقول مخاطباً حبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ (١) .

وأن سيدنا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء ، أرسله الله تعالى للإنس والجن كافة ، قال تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (٢) ، وقال : ﴿وَمَا

(١) سورة غافر : من الآية : ٧٨ .

(٢) الأحزاب : من الآية : ٤٠ .

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿١﴾ ، وقال :
﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ
قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا
يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ ﴿٢﴾ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا
دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ ، يَعْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرَمَ مِّنْ عَذَابِ
الْإِيمِ ﴿٣﴾ ، وقال تعالى : ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ
فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ
بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٤﴾﴾ .

وقد ورد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ، قال : انطلق
رسول الله ﷺ إلى البرّاز (٥) فخطّ خطاً وأدخلني وقال : لا تبرح

(١) سبأ : من الآية ٢٨ .

(٢) وقد قالوا هذا لأنهم كانوا من أتباع سيدنا موسى ، وقيل : لأن الإنجيل كان مكتملاً
للتوراة .. والله أعلم .

(٣) الأحقاف : من ٢٩ - ٣١ .

(٤) الجن : الآيتان : ١ و ٢ .

(٥) البرّاز بفتح الباء هو فى الأصل الفضاء الواسع الخالى من الشجر ، ثم كنى به عن
الخارج من الدبر .

حتى أرجع إليك . ثم أبطأ فما جاء حتى السحر ، وجعلتُ أسمع الأصوات ، ثم جاء ، فقلت : أين كنتَ يا رسول الله ؟ قال : أرسلتُ إلى الجن . فقلت : ما هذه الأصوات التي سمعتُ ؟ قال : هي أصواتهم حين ودّعوني وسلّموا عليّ . أخرجه الطحاوى .

وقال علقمة : قلت لابن مسعود : هل صحبَ النبي ﷺ ليلة الجن منكم أحدٌ ؟ قال : ما صحبهُ منا أحدٌ ، ولكن قد افتقدناه ذاتَ ليلة وهو بمكة ، فقلنا اغتيلَ أو استطير^(١) ما فعل به ؟ فبتنا بشرَّ ليلة بات بها قوم ، حتى إذا أصبحنا أو كنا في وجه الصبح ، إذا نحن به : يجيء به من قبلِ حراء . قال : فذكروا الذى كانوا فيه . فقال : أتانى داعى الجن ، فأتيتهم فقرأتُ عليهم ، فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم . وسألوه الزاد : فقال : لكم كل عظم ذكرَ اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحماً^(٢) ، وكلُّ بكرة أو روثة علفٌ لدوابكم . فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم من الجن) .

(١) (اغتيال) بصيغة المجهول أى قتل سراً (واستطير) بصيغة المجهول أى : طارت به الجن .

(٢) هذا لمؤمنهم ، وأما غيرهم فطعامه ما لم يذكر اسم الله عليه كما فى رواية الترمذى

أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى . وقال حسن صحيح .

.. وبعد - أخا الإسلام - فهؤلاء هم رسل الله ، وهذا هو خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .. الذين يجب عليك بصفتك مكلفاً أن تعرف الصفات الواجبة لهم ، والمستحيلة عليهم ، والجائزة في حقهم عليهم الصلاة والسلام . وأن تعرف كذلك العدد المذكور منهم في القرآن ، وهم : خمسة وعشرون .. كما يشير إلى هذا أحدهم في قوله :

حَتَّمَا عَلَى كُلِّ ذِي التَّكْلِيفِ مَعْرِفَةٌ

بأنبياء على التفصيل قد علموا

في تلك حجتنا ^(١) منهم ثمانية

من بعد عشرو يبقى سبعة وهمو

إدريس ، هود ، شعيب ، صالح ، وكذا

ذو الكفل ، آدم ، بالمختار قد خُتِموا

(١) أى من أول قوله تعالى (وتلك حجتنا) إلى قوله : (وكلاً فضلنا على العالمين) ، بسورة الأنعام ، الآيات : ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ .

إلى آخر تلك الأخبار والآثار المتعلقة بهم ،والتي ينبغي عليك
بصفتك مسلماً مكلفاً أن تكون على علم بها ...
.. ولهذا ، فقد وضعتُ بين يديك أهم هذا الذى أشرتُ إليه ،
والذى أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا جميعاً به ، وأن يجعله
حجة لنا لا علينا .. فأليك ^(١) أولاً بعض الأساسيات التى أرى أنه
من الضرورى - إتماماً للفائدة - أن تقف عليها كدراسة لهذا
الموضوع الأساسى الذى ندور حوله .

التعريف بالرسل وطبيعتهم وحاجة الناس إليهم

فحول هذا العنصر الهام الذى ينبغي أن يكون موضع دراسة -
يقول الإمام محمد عبده ، رحمه الله :

(الاعتقاد ببعثة الرسل ركن من أركان الإيمان ، فيجب
الاعتقاد بأن الله أرسل رسلاً من البشر مبشرين بشوابه ومنذرين
بعقابه ، قاموا بتبليغ أمهم ما أمرهم - الله - بتبليغه من تنزيه لذاته ،
وتبيين لسلطانه القاهر على عبادہ ، وتفصيل لأحكامه ، فى فضائل

(١) كما قرأته فى النشرة رقم ٥٥ (لوزارة الأوقاف المصرية) عام ١٩٧٠ م .. بتصرف
وليجاز .

الأعمال ، وصفات يطالبهم بها ، وفى مثالب فعال (نقائص فعال) ، وخلائق ينهاهم عنها ، وأن يعتقد بوجوب تصديقهم فى أنهم يبلغون ذلك عن الله ، ووجوب الاقتداء بهم فى سيرهم ، والائتمار بما أمروا به ، والكف عما نهوا عنه .

كما يجب الإيمان بأن الرسل مؤيدون من العناية الإلهية بما لا يعهد للعقول ولا للاستطاعة البشرية ، وأن هذا الأمر الفائق لمعروف البشر هو المعجزة الدالة على صدق النبى فى دعواه . فمتى ادعى الرسول النبوة ، واستدل عليها بالمعجزة - وجب التصديق برسالته .

ومن لوازم ذلك بالضرورة : وجوب الاعتقاد بعلو فطرتهم ، وصحة عقولهم ، وصدقهم فى أقوالهم ، وأمانتهم فى تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه ، وعصمتهم من كل ما يشوه السيرة البشرية ، وسلامة أبدانهم مما تنبؤ عنه الأبصار ، وتنفر منه الأذواق السليمة ، وأنهم منزهون عما يضاد شيئاً من هذه الصفات المتقدمة ، وأن أرواحهم ممدودة من الجلال الإلهى بما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليها سطوة روحانية .

أما فيما عدا ذلك ، فهم بشر يعترهم ما يعترى سائر أفراد البشر ، يأكلون ويشربون وينامون ويسهرون وينسون فيما لا علاقة له بتبليغ الأحكام ، ويمرضون ، وتمتد إليهم أيدي الظلمة ، وينالهم الاضطهاد ، وقد يُقْتَلُونَ . (١)

(رسالة التوحيد : ص ٨٢ ، ط دار المعارف)

بشرية محمد صلى الله عليه وسلم

ولقد كان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بشراً قبل أن يبعثه الله رسولاً ، له طبيعة البشر ، يأكل ويشرب ، ويصحو ويرقد ويغضب ويفرح ، إلى غير ذلك من أعمال البشر .

ولقد أنكر الكفار قديماً على رسل الله أن يكونوا مثل الناس يأكلون وينكحون ويمشون في الزحام ، وكذلك قال كفار قريش في رسول الله ﷺ :

١ — قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرٌ ۖ ﴾

(١) ولسوف تناقش كل هذا بالتفصيل .. إن شاء الله ..